

وجه دبري الأصيل

عودة إلى أعماق الماضي في أحياء دبي التاريخية وأسواقها التقليدية

المدينة وتفتح نافذة فريدة على التراث المحلي.

وجه المدينة القديم

في الماضي، كانت مدينة دبي مؤلفة من ثلاثة أقسام رئيسية هي الشندغة وبر دبي وديرة، عصبها الرئيسي خور دبي وهو اللسان البحري الذي يفصل بين ديرة وبر دبي ويشكل ميناءً طبيعياً للسفن. يشهد الخور على ما مرت به المدينة من تطورات عبر الزمن وانتقالها التدريجي من قرية صيد بسيطة إلى مركز تجاري محوري.

تيمناً بتراث المنطقة البحري الذي كان ولا يزال جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية، تشكل الرحلة المائية على متن العبارة «فيردي دبي» خير وسيلة لاسترجاع الماضي. تنطلق العبارة من مرسى دبي العصري حيث تتزاحم المباني الشاهقة والقوارب الفخمة، وتبحر على امتداد الساحل باتجاه خور دبي التاريخي مروراً بأبرز معالم المدينة. ترسو العبارة على ضفة حي الشندغة التاريخي في بر دبي حيث تستحضر المدينة ماضيها وتبسط تراثها أمام الساعين للتعرف على إرثها الثمين.

دبي، تلك المدينة العصرية التي تركت بصمتها على الخارطة العالمية، لا تنقطع عن لفت أنظار العالم بإنجازاتها. في العام السابق، خاضت دبي سباقاً محموماً للفوز بحق استضافة معرض إكسبو الدولي 2020، فخرجت متألفة لتؤكد على مكانتها كمدينة عالمية تشكل حلقة وصل محورية بين الشرق والغرب. في السنوات الأخيرة، سطع بريق دبي بعيداً ليجعل منها وجهة سياحية جذابة ومقصداً لمحبي الرفاهية والترفيه، فقد استقبلت فنادق المدينة في العام السابق ما لا يقل عن 11 مليون زائر للاستجمام في ربوعها واستكشاف معالمها الشهيرة.

لكن من يسحره ألق معالم دبي الحديثة وما تزخر به من مرافق تسوق وترفيه رفيعة المستوى، قد يصعب عليه تصور ما كانت عليه المدينة منذ مجرد بضعة عقود قبل أن تصبح موطن أعلى مبنى في العالم وتحقق سلسلة من الإنجازات غير المسبوقة. ولا تكتمل الرحلة إلى دبي من دون زيارة أحياء المدينة القديمة التي لا تزال صامدة في وجه الزحف العمراني لتروي جانباً هاماً من تاريخ



المرجانية والجص، ما أضفى على الحيّ طابعاً ساحراً يبعث في النفس الهناء والصفاء. هنا تسير الحياة بوتيرة هادئة فيما يتجول المارة في الأزقة الضيقة المعروفة بالسكك، متنقلين بين بيوت مزدانة بالبراجيل والزخارف والأبواب الخشبية المنقوشة. وباتت هذه البيوت اليوم تحتضن صالات عرض فنية ومتاجر متخصصة ومقاهي فريدة ونزل للسياح.

في قلب حي الفهيدي الأسر يرحب مركز الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم للتواصل الحضاري بالزوار من مختلف أصقاع العالم متيحاً لهم فرصة مثلى للتعرف على التراث الإماراتي عن كثب عبر

عودة صيادي الأسماك وغواصي اللؤلؤ بعد مكابدهم لتأمين لقمة العيش. لم تكن الحياة سهلة آنذاك، لكن الغواصين الأشداء كانوا يتحلون بمهارات تثير الإعجاب ترويهما «قرية الغوص» المجاورة التي أنشأت عام 1997 تكريماً لهذه المهنة. لحظة عبور بوابة القرية يتوارى العالم الخارجي وتبدأ الرحلة إلى الماضي في ساحات رحبة تحتضن فعاليات بحرية وتراثية في مواسم محددة مثل مهرجان دبي البحري التراثي. إنها لمحطة ثمينة على درب استكشاف موروث البلاد التراثي، إذ تتيح للزائر التعرف على أنواع السفن وأدوات الغوص القديمة وطريقة صناعتها كما أنها تسلط الضوء على حياة سكان دبي في الماضي.

أما قرية التراث المجاورة، فتحثفي بعادات الشعب الإماراتي وتقاليد الأصيل، ولا غنى عن القيام بجولة فيها لاستعراض أنماط البيوت التي كانت سائدة في البيئات المحلية المختلفة والأطلاع على الأدوات اليومية والتعرف على طريقة استقبال الضيوف. وتندبض القرية بالحياة خلال فترة المهرجانات متيحة للزوار فرصة متابعة أروع العروض الحرفية والرقصات الشعبية وتذوق مختلف الأطباق الإماراتية.

حي الفهيدي التاريخي

يكتمل المخزون التراثي في هذه الأنحاء بوجود حي الفهيدي التاريخي الذي يعود للعام 1859 وكان يُعرف سابقاً باسم «البيستكية». لقد أعيد تأهيل مباني الحي بعناية للحفاظ على طابعها الأصيل، إذ استخدمت في ترميمها المواد الأولية التي كانت سائدة آنذاك، مثل الأحجار

على طول الممر الساحلي الجميل تطل المباني التاريخية بأبهى حلة بعد أن خضع العديد منها للترميم وأعيد إنشاء البعض الآخر لتعود المنطقة محطة تاريخية وتراثية لا يجدر تفويت زيارتها. لقد تحولت مباني حي الشندغة، التي كانت فيما مضى تشمل سكن العائلة الحاكمة، إلى مقصد لمحبي التاريخ والتراث حيث تضي الساعات وكأنها دقائق فيما يتنقل الزائر بين المتاحف والمنازل الأثرية.

من أبرز معالم المنطقة بيت الشيخ سعيد آل مكتوم الذي يرجع تاريخ إنشائه إلى العام 1896 وكان يُعتمد مقرّاً لحاكم دبي. يتمتع البناء بأهمية عمرانية باعتباره مثالاً رائعاً للتصميم المعماري القديم، ويعرض مجموعة نادرة من الصور والمعروضات المتنوعة التي تؤثّق تاريخ دبي.

ومن تحفّزه زيارة هذا المنزل التاريخي على التعمق في فن البناء القديم، فما عليه سوى التعرّيج على متحف العمارة التقليدية المجاور الذي تم تشييده عام 1927 كمسكن للشيخ جمعة بن مكتوم قبل أن يتحوّل إلى متحف ثقافي تغطّي قاعاته عناصر البناء التقليدي بمختلف جوانبه. يتسنى لزوار المعرض الاستفادة من جولات إرشادية والاطلاع على معروضات ومجسمات توضّح أساليب البناء والمواد والأدوات المعتمدة في إنشاء البيوت الإماراتية وزخرفتها بما ينسجم مع التقاليد والبيئة المحلية. وتعكس المعروضات فطنة البنّائين في ابتداع أساليب لتقليل حدّة الحرارة مثل إنشاء أبراج الهواء المعروفة باسم البراجيل والتي تُعتبر أول نظام تكييف ذاتي فعّال في المنطقة. تحلو الاستراحة في أحد مقاهي الممر البحري ومراقبة الحركة في مياه الخور وعلى ضفتيه حيث كان الأهالي في الماضي ينتظرون

ظلال في دبي القديمة

هذه الصفحة: مشهد من مدرسة إسلامية قديمة في متحف دبي؛ فواكه مجففة وأعشاب في سوق التوابل في دبي؛ منازل عربية تقليدية قديمة على الواجهة المائية لخور دبي؛ فوانيس تقليدية ملونة في أحد أسواق دبي القديمة. الصفحة المقابلة: مراكب العبرة التقليدية في خور دبي.



في ديرة، الشق الثاني من المدينة القديمة الواقع على الجانب الآخر من الخور.

عبر الخور نحو ديرة

في الماضي، كانت حركة النقل عبر الخور تقتصر على العبارات، وهي قوارب خشبية صغيرة ذات مجدافين. وقد حلت مكانها اليوم عبارات مزودة بمحركات وباصات مائية، تروح وتجيء طوال النهار بلا كلل كونها أسرع وسيلة للانتقال بين المحطات المائية المتوزعة على امتداد شقي الخور: بر دبي وديرة.

تتوقف العبارة عند سوق التوابل، حيث المتاجر الصغيرة مترامية على الجانبين وأصحابها في سباق محموم للترويج لبضائعهم كما فعل أسلافهم عبر السنين. يعيق السوق بروائح فوّاحة فيما تتعالى أصوات الباعة وتشير أيديهم إلى الأكياس المكسّسة بكل ما يخطر بالبال من توابل وأعشاب مجفّفة. ويتفاخر أصحاب هذه المحلات المتواضعة بمعرفتهم لخواص المنتجات وفوائدها، فتصبح زيارة السوق أشبه بدرس للعلاج الطبيعي يحرك الحواس. أما سوق الذهب المجاور، فيصح القول فيه أنه مُبهر للأبصار نظراً لما يفتني به من مجوهرات متألّقة، التقليدية منها والعصرية. تُعتبر دبي من الوجهات المقصودة لمحبي المجوهرات، وبالرغم من انتشار أرقى المتاجر في مرافق دبي العصرية، فإن سوق الذهب القديم يبقى مقصداً يشبه عالم الأحلام تخلد معروضاته في الذاكرة طويلاً بعد انقضاء الزيارة.

لا تخلو ديرة بدورها من المعالم التاريخية والمحطات التراثية مثل بيت التراث الذي كان في العام 1910 مملوكاً لواحد من أشهر تجار

برامج متنوّعة تهدف لنشر الوعي حول الثقافة والتقاليد المحليّة. بترتيب مسبق، يقدم المركز لزواره وجبات تراثية في أجواء من الإلفة الاجتماعية يتحاورون خلالها مع مضيفهم الإماراتي حول التقاليد والعادات المحليّة، ويتعرّفون فيها على الأطباق الإماراتية الأصيلة مثل «المجبوس» و«البلايط»، والحلويات الشعبية مثل «اللقيمات». أما من يرغب في استكشاف الحي سيراً على الأقدام، فيمكنه القيام بجولة برفقة مرشد متخصص يشاركه معرفته بتراث المنطقة. ومن لم ترو غليله سلسلة متاحف حي الشندغة، تبقى أمامه فرصة لاستعراض تاريخ المدينة في قلعة الفهيد العريقة التي تحدت الزمن منذ إنشائها عام 1787، وانتقلت من كونها مركزاً دفاعياً لتصبح موقعاً تراثياً يضم متحفاً يسلسل ماضي المنطقة بمعروضاته الشاملة.

تتكلل زيارة منطقة الفهيد بزيارة سوقها القديم المسقوف بالخشب حيث تتوارى من الذاكرة متاجر دبي العصرية لتحل مكانها تجربة مغايرة تماماً. تلتقط الأبصار معروضات متنوعة بألوان باهرة وزراکش براقاً فيما ينشط الباعة في الترويج لبضائعهم محولين اجتذاب الرواد لدخول متاجرهم الضيقة والخروج منها محملين بأكياس منقطة بالأقمشة والملابس والتذكارات. ويكتسب التسوق في هذه الأنحاء نكهة خاصة فيما تبدأ عملية المساومة على الأسعار التي يظفر فيها من يتمتّع بمقدار من المهارة والكياسة.

ومن تكل قدماه من التسوق فما عليه سوى التوجّه إلى الواجهة المائية لتجديد نشاطه بارتشاف كوب من «الكرك»، وهو مشروب شعبي مكوّن من الشاي الممزوج بالحليب المحلي، قبل متابعة الجولة

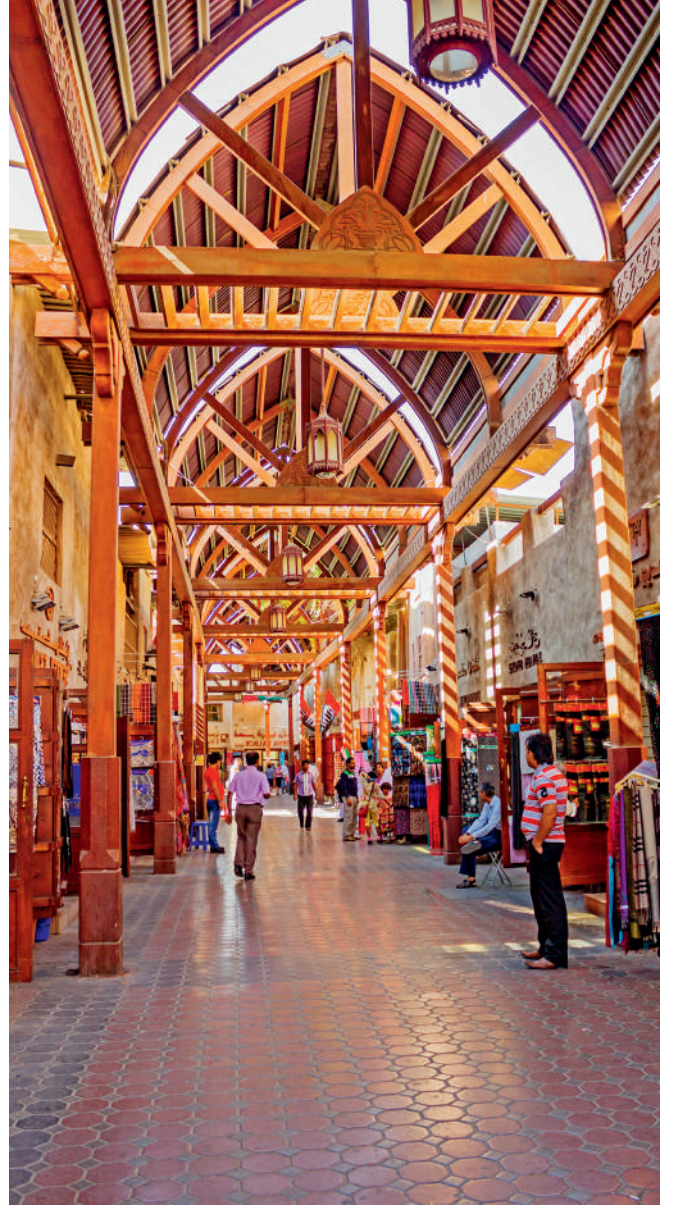


بين الخور والأسواق

هذه الصفحة: قسم من الواجهة المائية الممتدة من بر دبي إلى خور دبي؛ صائغ

في سوق الذهب في دبي.

الصفحة المقابلة: واجهة متحف دبي الخارجية؛ أخفاف ملونة في سوق دبي.



معلومات عن الرحلة

طريقة السفر

يسير طيران فلاي دبي رحلات من مناطق مختلفة في الشرق الأوسط وآسيا وأفريقيا إلى دبي.
flydubai.com

التنقل في أرجاء المكان

توفّر هيئة الطرق والمواصلات وسائل نقل برية ومائية متنوعة تشمل المترو والباص والعبّرة وفيري دبي.
rta.ae

الفنادق

– يتمتع فندق XVA بتصميم عربي أصيل وأجواء فنية راقية وموقع مثالي في قلب حي الفهيدي www.xvahotel.com.
– تقدّم «مجموعة التراث» ثلاثة بيوت تراثية ساحرة في أحياء دبي القديمة يتميز كل منها بطابعه التقليدي الخاص: البيت الشرقي في حي الفهيدي التاريخي orientguesthouse.com، ونزل الأحمدية التراثي في ديرة بجوار المدرسة الأحمدية ahmediaguesthouse.com، ونزل بارجيل في حي الشندغة بجوار القرية التراثية barjeelguesthouse.com.

المطاعم

– يمكنكم حجز الجولات الاستكشافية سيراً على الأقدام عبر الموقع www.fryingpanadventures.com
– يتخصّص مقهى ومطعم «الفرن» في دبي فستيفال سيتي بالمطبخ الإماراتي www.alfanarrestaurant.com
– يقع مقهى ومطعم أرابيان تي هاوس كافيه في قلب حيّ الفهيدي، ويقدم تشكيلة واسعة من أصناف الشاي والوجبات الخفيفة في حديقته الداخلية الهادئة arabianteahouse.co
– يجمع باتو دبي بين المأكولات الشهية والمناظر الرائعة أثناء الإبحار على امتداد الخور www.jaresortshotels.com/Properties/BateauxDubai

لمزيد من المعلومات

لمزيد من المعلومات حول دبي يمكنكم مراجعة موقع دائرة السياحة والتسويق التجاري www.definitelydubai.com
موقع مركز الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم للتواصل الحضاري www.cultures.ae

اللؤلؤ في المدينة وخضع للتوسيع والتحسين عبر السنوات ليصبح نموذجاً ممتازاً للمنزل الإماراتي. وتفتخر المنطقة كذلك بكونها موقعاً للمدرسة الأحمدية التي احتفلت في السنوات الأخيرة بمرور مائة عام على تأسيسها وتعتبر أقدم مؤسسة تعليمية في المنطقة، وقد تحوّلت اليوم إلى متحف عام يستقبل الزوار.

بعد التشبّع من التاريخ والتراث، لا بد من إشباع النفس بالأطعمة المحليّة والتعرّف على المأكولات المحليّة والشعبية. تغتني الأحياء القديمة بمطاعم فريدة تعكس أطباقها التبادل الحضاري الذي شهدته المنطقة عبر العقود. وما من تجربة مطبخية تضاهي الجولات التي تنظّمها الخبيرة أروى أحمد لخوض أحياء دبي القديمة برفقتها سيراً والاستمتاع بتذوق الأطباق المحليّة والإقليمية فيما تشارك الرواد معرفتها العميقة بالمأكولات والمكوّنات والعادات. تقدّم أروى للزوار عدة خيارات، مثل الجولات المخصّصة لاستكشاف نكهات الشرق الأوسط، وتلك الموجهة لمحبيّ الأطباق الهندية التي تركت بصمة قويّة على المطبخ المحليّ.

أما من يؤثر الرجوع تدريجياً إلى الأجواء العصرية، فيمكنه القيام برحلة مائية على متن مركب «باتو دبي» الذي يقدم أطباقاً فاخرة ومناظر بانورامية فيما يبحر انطلاقاً من أقدم أحياء المدينة وأكثرها أصالة.